10me Année No. 493

Lundi - 14- 12 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

ار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

صفحة		
١١٣٣	التلبـــاثى	الأستاذ عباس محمود العقاد
١١٣٦	راية الحرية الأدبية ...	الدكتور زكى مبارك ... ...
١١٣٩	الندوات الأدبية الخاصة فى الغرب	الأستاذ صلاح الدين المنجد
١١٤١	الشعب الحبشى	الدكتور فؤاد حسنين ...
١١٤٣	عوامل ثورة العرب ...	الأستاذ نسيب سعيد ... ...
١١٤٦	خزانة الرءوس فى دار الخلافة العباسية ببغداد ..	الأستاذ ميخائيل عواد ...
١١٤٨	ليالى القاهرة (قصيدة)	الدكتور إبراهيم ناجى ...
١١٤٩	ليتنى زورق «	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
١١٥٠	حقائق أدبية وذوقية ...	الدكتور زكى مبارك ...
١١٥١	خطأ فى رواية حديث ...	الأستاذ سعيد الأفغانى ...
١١٥٩	البيتان لابن الفارض ...	الأستاذ برهان الدين الداغستانى
١١٥١	كلمة أخيرة فى اختلاف القراءات	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١١٥٢	حصول كتاب ديكارت للأستاذ عثمان أمين ...	الأستاذ صفاء خلوصى ...

التلبـــاثى

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... نطالع كتابكم الكبير عبقرية عمر الذى تجلت فيه عبقريتكم الفريدة ... ونرجو منكم خدمة للعلم التكرم بشرح التلباثى على صفحات مجلة الرسالة الغراء ... »

(سنهور المدينة) محمد السيد على حسن

والإشارة إلى التلباثى في كتاب « عبقرية عمر » قد جاءت فى سياق الكلام على قصة سارية حيث روينا أنه « كان رضى الله عنه يخطب بالمدينة خطبة الجمعة فالتفت من الخطبة ونادى : يا سارية بن حصن ... الجبل الجبل ! ومن استرعى الذئب ظلم

« فلم يفهم السامعون مراده ، وقضى صلاته فسأله علىّ رضى الله عنه : ما هذا الذى ناديت به ؟ قال : أو سمعته ؟ قال : نعم ، أنا وكل من فى المسجد . فقال : وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا . فخرج منى هذا الكلام »

وإنه « جاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر يقول : يا سارية بن حصن ! الجبل الجبل . فعدلنا إليه ففتح الله علينا »

ثم عقبنا على القصة قائلين : « إن المهم من نقل هذه القصة

في هذا الصدد أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكاشفة الأسرار الغيبية إما بالفراسة أو الظن الصادق أو الرؤية أو النظر البعيد »

وهذه — كما هو ظاهر — حالة من حالات التلباثي التي يسأل عنها الأديب صاحب الكتاب الذي اقتبسنا منه ما تقدم .

ونحن نترجم التلباثي بالشعور عن بعد ، أو «بالنظر البعيد» إذا أردنا تعميم النظر حتى يشمل الرؤية والمكاشفة ، أو يشمل الـ Vision في اصطلاح بعض العلماء النفسانيين

وهي حالة متكررة يحسها كثيرون ويسجل وقائعها أناس من المتدينين وغير المتدينين . وأشهر القائلين بها في عصرنا كاتب أمريكي ملحد هو أبتون سنكلير Upton Sinclair يقيم التجارب التي تثبت النظر على البعد أو الشعور على البعد ، ويسجل فيها سجل تجاربه مع زوجته حيث كانا يجلسان في مدينتين بعيدتين ويحيط بكل منهما شهود كثيرون منهم المنكرون ومنهم الصدقون ، فيطلب إليه بعضهم أن يرسم شكلاً هندسياً وأن يوجه شعوره إلى امرأته لترسم مثله في تلك اللحظة ، ويطوى الرسمان حتى يعلنا بعد ذلك فيتفق في كثير من الأحوال أن يتشابها في الخطوط ، وإن اختلفا في الأبعاد كما يختلف المثلث الكبير والمثلث الصغير مع اتفاق الزوايا والنسب الهندسية

هذه التجارب يقول بها ويسجلها ويعلنها في الكتب السيارة رجل قلنا إنه ملحد لنقول إنه لا يقصد من كلامه تبشيراً بعقيدة أو خدمة لمذهب اجتماعي ، لأن مذهبه الاجتماعي يقوم على « الفهم المادي » للتاريخ ولا يحوجه إلى التبشير بهذه الهبات النفسية ، بل لعله ينفره منها ويحبب إليه السكوت عنها

واعتقادنا في « التلباثي » أنه هبة نفسية جائزة لا تناقض العقل ولا يمنعها العلم بدليل

لأنها تستند إلى الحس ، ولا فرق بينها وبين هبات الحس التي نباشرها كل يوم إلا في طول المسافة ، وهو فرق اعتباري غير قاطع بين حالة وحالة . إذ من ذا الذي يستطيع أن يقول إن الحس ينتهي عند هذه المسافة ولا يجوز عقلاً أن يتعداها ويذهب إلى ما وراءها !

إننا نرى كل يوم في العصر الحاضر أن صوتاً يصدر من أمريكا أو اليابان ويسمع في مصر كما يسمع فيها حديث الجلساء . ولولا المذياع لعددنا من يزعم هذا الزعم مخرفاً يعبث بعقول سامعيه

فإذا جاز سماع الصوت على هذه المسافات الشاسعة بجهاز من الأجهزة المصنوعة فلماذا يمتنع على قوى الذهن أو قوى الشعور أن تحس على هذه المسافة أو تتصل بنفس أخرى وذهن آخر متى تهيأت لها أسباب اتصال ؟

فالتصديق بالتلباثي لا يدعونا إلى اختراع حس جديد أو ملكة غيبية من وراء الطبيعة ، ولكنه يدعونا إلى تصديق هذا الحس الذي نباشره كل يوم في مختلف شئون الحياة ، مع السماح له بالامتداد والتكبير ، وهما غير ممنوعين ولا مناقضين للمعقول أو المشهود

والحس نفسه لا يقل في غرابته عن « التلباثي » كما يقول بها أشد الغلاة المؤمنين بها من النفسانيين .

فأنت تفتح عينك فترى

شيء بسيط جدا في حسابنا ، بل هو أبسط شيء يخطر على بالنا . . . افتح عينك تر ! . . . أي شيء أبسط من ذلك وأبعد من الغرابة ؟

نعم هو كذلك لأننا نعالجه ونرى الألوف ممن يعالجونه كل لحظة ، ولا يخطر لنا أننا نأتي بشيء غريب

ولكننا إذا رجعنا إلى أنفسنا فسألناها : ما هي الرؤية ؟ وما هو معنى القوة العجيبة التي تحيط بشيء على مسافة منك وتعرف ما لونه وما شكله وما أثره وما حركاته وسكناته ، ولا صلة بينك وبينه إلا الضياء ؟

نسأل أنفسنا في هذا ونفكر ملياً في معناه فنستغرب النظر من قريب كما نستغرب النظر من بعيد ، ونعلم أن معجزة الحس حاصلة قبل أن نسمع بالتلباثي والتليفزيون وما إليهما من وسائل الإحساس

وما قربنا المسألة حين نقول إننا ننقل الأشياء إلى حسنا بالنظر لأن بيننا وبينها الضياء

إذ ما هو الضياء ؟

ولماذا يكون حتما لزاماً متى وجد الضياء أن يكون هناك نظر وأن يكون النظر على نحو ما وعيناه ؟

فالتلباثى غريبة جداً عند من تنسيه الألفة اليومية غرابة النظر والسمع والذوق وسائر المحسوسات

والتلباثى جائزة جدا عند من علم أن النظر جائز ثم سأل نفسه في معنى هذا الجواز

وأحسب أن الكثيرين من القراء قد جربوا هبة التلباثى كما جربتها ووقفوا منها على مبادئ تدل على نهايتها القصوى ، إن لم يكتب لهم أن يملكوا هذه الهبة على أقصاها

فإننى لا أقول بجواز التلباثى معتمداً على العقل والقياس دون التجربة والمشاهدة ، ولكننى أقول بذلك لأننى « جربت » بعض الوقائع التى تقربنى من تصديق « التلباثى » وتنفى الغرابة عنه أو تنفى استحالته على أيسر تقدير

يحدث مرات أن أذكر إنساناً بعد سهو طويل عنه فإذا هو ماثل أمامى فى اللحظة التى ذكرته فيها

ولو كان هذا الإنسان صاحبها يعاودنى التفكير فيه حيناً بعد حين لقلّت الغرابة فى تذكره ولو بعد السهو الطويل

ولو كان المكان الذى ذكرته فيه متصلاً بإقامته أو بالمقابلات بينى وبينه لقلت الغرابة كذلك فى إثارة ذلك المكان لذكراه

ولكنه لا يكون أحياناً ممن طالت الصحبة بينى وبينه ، ولا يكون الموضع الذى أذكرنى به موضعاً تقابلنا فيه قبل ذلك أو تحدثنا به يوماً من الأيام . وكل ما هنالك أنه إنسان جمعت بينى وبينه المصادفات فترة من الزمن ثم انطوت عنى أخباره سنوات لا أراه ولا يعرض لى ما يدعونى أن أشتاق إلى رؤيته ، ثم يمر بخاطرى فما هو إلا أن أثبته وأستعيد ذكره حتى أراه فى عرض الطريق

ويحدث مرات أن يتولانى انقباض شديد تتخلله صورة إنسان عزيز يكرثنى جداً أن يصاب بمكروه ، ويلج بى هذا الانقباض حتى كأنما الذى أخشاه قد وقع أو هو مرقوب الوقوع . فأبادر بالكتابة من طريق البرق أو البريد ، ويحدث فى هذه الحالة أن يجيئنى خطاب قبل وصول سؤالى إلى وجهته يدعو إلى الطمأنينة ، أو يرد إلىّ الجواب بعد قليل وفيه إشارة إلى خطر زال

وأحسب أن هذه العوارض أشيع من أن تحصى فى عداد النوادر والفلتات ، فقد سمعت ما يشبهها من بعض الأصدقاء المصدقين . وقد أخبرنى بعضهم بقلقه على غائب يعزه وهو لا يعرف سبباً واضحاً للقلق الذى يساوره حتى فاتح فيه غيره ثم تبين أنه لم يقلق يومئذ بغير داع معقول

إلا أن النوادر والفلتات فى التلباثى هى العوارض التى تشبه قصة سارية فيما روى عن عمر بن الخطاب

فالذين يشعرون على البعد بمثل هذه القوة والوضوح قليلون ، ولكن المسألة — بعد — مسألة فرق فى القوة والوضوح ، وليست بفرق فى أساس الشعور يماثل الفرق بين من يبصر ولا يبصر ، وبين من يسمع ومن ليست له أذن للسمع ، وبين من يحس ومن ليست له قابلية للاحساس

فالشعور على البعد كالشعور على القرب جائزان ، ووسيلة الشعور على البعد ليست بأصعب من وسيلة الشعور على القرب بالعيون والآذان ، وإن كنا لا نستغرب هذه كما نستغرب تلك لطول الألفة وتكرار المشاهدة بين جميع الأحياء

وحد التصديق عندى لهذه العوارض هو وجود الأساس الذى تعتمد عليه

فإذا كان كل ما فى الأمر أنه تكبير للحس الذى تعودناه أو مضاعفة له وتقريب لأبعاده ومسافاته فلا مانع من صدقه ، وإذا كان فى الدعوى ما يحوجنا إلى فروض لا أساس لها من المشاهدات والمعقولات فهنالك موضع للتردد والاشتباه

وعلى هذا أقبل دعوى التنويم المغناطيسى — مثلاً — إذا ادعى للنائم أنه يبصر شيئاً موجوداً على مسافات بعيدة ، ولكنى لا أقبل منه هذه الدعوى إذا تعدى ذلك بما سيكون بعد عام أو بعد شهر أو بعد يوم ، وليس له وجود قائم الآن

وكذلك أقبل دعوى الشعور البعيد أو النظر البعيد إذا كان بمثابة السمع المضاعف أو البصر المضاعف ، لأن امتناع ذلك يحتاج إلى مانع قاطع ولا سبيل إلى القطع فيه ، ولأن القول بجوازه لا يتعدى كثيراً أن نقول بجواز رؤية العيون وسماع الآذان

وينبغى للعقل أن يتمهل فى قول « لا » كما يتمهل فى قول « نعم » كلما سمع بما يشكك ولا يوافق معهوده ، فإن العقل ليكون خرافياً بقول « لا » فى غير موضعها كما يكون خرافياً

راية الروحية الأدبية

للدكتور زكي مبارك

فيما كتب الأستاذ الزيات والدكتور عزام عن « البلايا التي تكابدها البلاغة في هذا العصر » تذكيرٌ بغضبات ابن قتيبة في القرن الثالث ، والجرجاني في القرن الخامس . وقد جاء هذا التذكير في الوقت المطلوب ، جاء بعد انجراف قد يزعزع مركز مصر الأدبي في الشرق ، إن لم تسنده الأقلام المصرية بأسندة متينة من الحق والصدق واليقين

وأقول من جديد إنه لا حياة للأدب في مصر إن لم تكن لأهله عقيدة أدبية ، عقيدة يرحّب صاحبها بجميع المتاعب في سبيل الأدب الصحيح ، ولا يبالي أين يكون مصرعه ما دام على وفاق مع ملائكة الفكر وشياطين البيان

والعقيدة الأدبية توجب أن نكون صادقين فيما نكتب وفيما نقول ، بحيث يطمئنّ القراء إلينا كل الاطمئنان ، وبحيث لا نخفي عليهم خافية من سرائرنا الفكرية ، ولو جنحنا في التعبير إلى الرموز والتلاميح

القارئ صديق — وإن لم يتعرف إلينا بصورة شخصية — وللصديق حقوقٌ أهمُّها اطّراح الرياء ، فمن العبث أن يخطب قومٌ وداد القارئ وهم لا يلقونه إلا مرائين

والأصل في الأدب أنه تعبيرٌ طريف عن أغراض الحياة والأحياء . وإنما قلت « تعبير طريف » لأبدد الشبهة التي تقول بأن الأدب هو تصوير الشاعر والعواطف بالصدق الذي يماثل صدق الصورة الشمسية ، فالقارئ لا يفرح بأن الكاتب حدثه عما يجول في صدره بالحرف ، وإنما يسره ويبهره أن يجد في تلك الصورة ألواناً لم يلتفت إلى مثلها من قبل ، على شرط أن لا يزينه التلوين عن الصدق ، وعلى شرط أن يكون الجانب الطريف أظهر الجوانب في الأداء

فأين نحن من هذه المعاني في هذا الزمان ؟

من المحقق أن الأدب عندنا في ازدهار ، ولكني مع ذلك أعاني ضروباً من التخوف . فالجماهير في مصر لم تشعر إلى اليوم بأن الأدب صار قوتاً لا تطيب بدونه الحياة . ولم نسمع أن الجماهير مستعدة للمساعدة على نشر كتاب يعجز عن نشره أحد كبار المؤلفين . ولم نسمع أن كتاباً أعيد طبعه عشرين مرة في أشهر معدودات ، كما يقع ذلك في بعض الممالك التي تعاني شهوات العقول

فما أسباب هذا الخمود ؟

أخشى أن أقول إننا لم نصر كتّاباً ولا مؤلفين بالمعنى الصحيح للكتابة والتأليف

أخشى أن أقول إننا عجزنا عن خلق الجاذبية الأدبية ، وسيحكم علينا التاريخ بما لا نريد ، فسيقول أقوامٌ إن مصر غانتْ زمناً لم يعرف أدباؤه كيف يرفعون البراقع عن الأقلام ، ولم يفكروا في رفع الأمية الفكرية عن عقول القراء

أعوذ بالله من بعض ما أرى ، وبعض ما أقرأ وبعض ما أسمع !

وبالله أستعيذ من زمن تضعف فيه الأبوّة الروحية ، أبوّة الباحثين والمفكرين !

ومع هذا فالأمة المصرية هي هي لم تتغير ولم تتبدل ، الأمة التي تستمع كل قول ، وتستجيب لكل نداء ، ولم يفتر نشاطها الذهني في أي وقت ، ولكن أين من ينتفع بالحيوية المكنونة في ضمير الأمة المصرية ؟

انتفع السياسيون من أمثال : مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ، لأنهم جاهدوا وناضلوا وكافحوا ، ولأنهم جددوا

بقول « نعم » في غير موضعها ؛ وإنما هذه خرافة تثبت بالباطل وتلك خرافة تنفى بالباطل ، ولا فرق في الباطل بين نفي وإثبات

الشعور على البعد جائز ما جازت الصلة بين الإنسان وموضوع شعوره ، وقد رأينا أن هذه الصلة لا تنقطع في طريق صوت كالهمس على مسافات الألوف من الفراسخ والأميال ، فقبل أن ننفي الصلة بين نفسين ينبغي أن نتمهل طويلاً حتى نوقن من وجه الاستحالة والامتناع ؛ ولن يكون هذا اليقين إلا ببرهان قاطع . والقول بهذا البرهان القاطع قبل أن يوجد وينقرر هو أجرأ على العلم والعقل من التصديق بغير برهان اعتماداً على المروي والمشاع .

عباس محمود العقاد

أهدافهم تحديداً لا يتطرق إليه الارتياب ، ثم رحبوا بجميع المتاعب فى سبيل تلك الأهداف

فاذا صنع الأدباء ليسيطروا بالقوة الروحية ، كما سيطر أولئك بالقوة السياسية ؟

قد يقال إن الوطنية وتر حساس ، فهى السر فى نجاح أولئك الرجال

وأقول إن النزعة الإنسانية أقدم وأعمق من النزعة الوطنية ، فلو جاهد الأدباء جهاد الصدق لكان لهم فى أمتهم تأثير لا يصل إليه كبار الوطنيين ، ولكان من السهل أن تكون مبادئهم شرائع يعتصم بها السياسيون

وأعجب العجب أن يكون فى الأدباء من يطلبون الاستقلال لأمتهم ولا يطلبونه لأنفسهم ، كالأدباء الذين يعيشون تحت وصاية الأحزاب السياسية راضين وادعين ناعمين ، كأنهم ظفروا بكنوز قارون ، وكأن آلهة الفن هى التى ألهمتهم ذلك المذهب من مذاهب المعاش ، مع أن القلم أكبر وأعظم وأشرف من أن يتشوف صاحبه إلى الاستظلال بظلال الأحزاب

لا عيب فى أن يكون للأديب حزب ينتمى إليه إذا اقتنع بالتحزب فى سبيل القومية . ولا عيب فى أن تكون للأديب مطامع سياسية ، ولكن العيب كل العيب أن يكون الأدباء ذيولاً تجرجرهم التقلبات الحزبية ، وتدوسهم سنابك الأهواء

إن جهاد مصر الأدبى لا يقل عن جهادها السياسى ، فقد استطاع فريق من أدباء مصر أن يرفعوا اسم وطنهم فى الشرق ، ولكنهم مع الأسف عجزوا عن رفع اسم الأدب فى وطنهم ، لأنهم غفلوا عن واجب المصابرة تحت الراية الأدبية ، واكتفوا بالتغنى تحت الراية الوطنية

ألم أقل لكم إن الأديب ليس أجيراً للوطن ولا أسيراً للمجتمع ؟

وما قيمة الوطن إن لم يفرح بأن ينبغ فيه المفترعون لأبكار المعانى ؟

فى القسم المصرى بمتحف اللوفر فى باريس تمثالان ناطقان : تمثال الفلاح المتربع تحت الشمس وهو يتذوق السكون والخمود ، وتمثال الكاتب المتربع وهو مهموم يستعد للانشاء . وتلك صورة مصر فى القديم والحديث ، فمن أبنائها من يفرح بالنعيم البليد ، ومن أبنائها من يفرح بالشقاء السعيد . والأشقياء بالمعانى هم السعداء ، يوم يوضع للسعادة تعريف صحيح

ألم يأن للأدباء أن يعرفوا واجبهم نحو الأدب ؟

ألم يأن للزمن أن يسمح بأن تقوم فى مصر دولة أدبية لا تعرف غير الصدق فى البيان عن أوهام الأهواء وأحلام القلوب وأوطار العقول ؟

أمن المستحيل أن يقول أديب « أنا » فى هذه البلاد ؟

ألا يوجد فينا من يتوكل على الله وحده ليملك الغنى عن الناس فيكتب ما يكتب ويقول ما يقول فى صراحة وإخلاص ؟

عذرت من عاشوا فى زمان الظلم ، فما عذر من يعيشون فى هذا الزمان ؟

إن حرية التفكير مكفولة للجميع ، على شرط السلامة الفكرية ، فما الذى يوجب أن يكون الأديب إمعة لا ينطق أو يصمت إلا وفقاً لبعض الموحيات الأجنبية عن جو العقل والروح ؟

وما الموجب لأن يتفاضل الأدباء بالقدرة على الرياء ، وهو سناد المهازيل ، وعماد المعاليل ، ودعام المناخيب ؟

لقد وُضع الورق فى التسعيرة الجبرية قبل أن يوضع الفول ، ومع هذا لا يفهم ناس أن قوت العقول يسبق قوت البطون !

إن الأدب الكاذب ينفع ، فكيف يضر الأدب الصادق ؟

والأدباء المستعبَدون يُفلحون ، فكيف يخيب الأدباء المستقلون ؟

جرِّبوا الصدق مرةً واحدة ، يا أدباء هذا الزمان ، وحاولوا مرةً واحدة أن يكون لكم وجودٌ منزَّه عن التبعية ، ولو كانت فى أشرف الأوضاع ، ليصح لكم القول بأنكم من دعاة الحرية والاستقلال

إن محنة الأدب فى هذا العصر محنة عاتية ، وهل توجد محنة

أقسى من محنة العبودية ؟ ولأى سبب ؟ للقوت الذى لا يبخل الله به على ضعاف النمال !

إن الأديب المصرى لم يُخلق بعد ، الأديب الذى يستوحى نجوم السماء لا نجوم الأرض ، الأديب الذى لا يخاف الجوع ، لأن له زاداً من الحب والنسيم ، الأديب الذى لا يخشى التوحد ، لأن التوحد هو أنس الأسود

التصوف خُلق أول مرة فى مصر ، فى عهود سبقت عهود الفراعين . عنا أخذ الناس معانى الروحية ، فهل يعاب علينا أن ندعو إلى الصوفية الأدبية ؟

ولكن أين الأديب ؟ أين لا أين ، فقد طوقت المنافع ألباب الأدباء فى هذا الزمان ؟ !

إن وُجد الأديب المصرىُّ المنشود فسيكون المرجع لأقطاب السياسة وأعيان المال ، لأن الأدب هو الميزان لفهم مطالب الحياة وحقائق الوجود

وهنا تظهر إحدى الدقائق الروحية : فالميزان لا يستفيد مما يَزِن ، وإنما يستفيد الوزان ، فيا أدباء مصر كونوا موازين لا وزّانين

آه ثم آه !!

إن الذى يملك بعض المنافع فى هذه البلاد يعتز ويستطيل ، فكيف يجوز لحامل القلم أن ينسى نعمة الله عليه فيتمسّح بهذا الركن أو ذاك ؟

وما الذى يمنع من أن نجرّب حظنا مع الله ، وقد جربنا الحظوظ مع الخلائق ؟

لقد عفا الله عن سفهاء الأدب فأورثهم الخلود ، برغم تردّيهم فى هوّة التزلف إلى الوزراء والأمراء والخلفاء

قال أبو نواس فى مدح الأمين :

عقتُ بحبلٍ من حبال محمد أمِنتُ به من طارق الحدثانِ

فغضب الله عليه وعلى الأمين وأوردهما موارد البلاء

واعتّر البحترى بصحبة المتوكل فضاع الأول وهلك الثانى

أنا أدعو الأدباء إلى التخلق بأخلاق الصـوفية . . .

هل تذكرون بعض مذاهب الصوفية ؟

اسمعوا هذا الحديث :

انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دينٌ يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء ، وهذا كفرٌ بظاهر القول ، ولكنه فى الجوهر غاية الإيمان ، لأن المهمّ أن تصحّ الصلة بصاحب العزة والجبروت ، والأنبياء عباد الله قبل أن يكونوا مرسلين وبعد أن كانوا مرسلين ، وهم أشرف من أن يدّعوا مشاركة الخالق فى طاعة المخلوق

ومشكلة الأدباء أهون من مشكلة الصوفية ، فنحن لا ندعوهم إلى الترفع على الأنبياء ، وإنما ندعوهم إلى الترفع على الناس . ندعوهم إلى أن يعرفوا أنفسهم . ندعوهم إلى أن يعرفوا نعمة الله عليهم . ندعوهم إلى التنسك فى سبيل المبادىء الروحية . ندعوهم إلى إنقاذ الأدب من مزالق الرياء

فلان الذى يكتب فى المجلة الفلانية عن الدين والأخلاق لا يستبيح المرور بشارع فؤاد ولا عبور جسر قصر النيل ، مخافة أن يقول الناس إنهم رأوه يسير هنا أو هناك

فكيف تعبدون الله يا عَبيد الناس ، وهل يعبد الله من يخاف الناس ؟

إطرحوا هذه البراقع . إطرحوها ، إطرحوها ، والله المسئول عن أقواتكم ، إن ضاعت بسبب الصدق ، فبينكم وبين الله عهدٌ وثيق ، عهد يقضى بأن لا تكون العزة لغير الصادقين ، والله لا ينقض الميثاق

فى كل ميدان فرصٌ ينفع فيها التمرين والتدريب ، إلا الأدب ، فهو موهبة ربانية لا تنال بجهاد الأنفس والأموال ، ولا يظفر بها الملوك ، إلا إن كانوا موهوبين

تستطيع الشعوب أن تُجلس على عرش المُلك من تشاء ، ولكنها تعجز عن خلق الأديب ، لأن الأديب من إبداع المبدع الوهاب ، ومن كرم الله على الأنبياء أن جعلهم فصحاء . وهل قالت موسى أن يسأل الله تأييده بلسان هرون ؟

الأدب سلطنة لا يجوز عليها الذل

في الأدب المقارن

الندوات الأدبية الخاصة
في الغرب
للأستاذ صلاح الدين المنجد

عُنِي مؤرخو آداب الأمم الغربيّة بتصوير المجالس الأدبية التي كانت تعقد في أوربة في القرون الخوالي . فقد لاحظوا أن أبهاء الأمراء والنبلاء ، وأندية الفلاسفة والعلماء ، ومجامع الشعراء والأدباء، كان لها في أحايين كثيرة أثر بالغ في توجيه الأدب وجهة معينة ، وإكسابه لوناً لا عهد له به من قبل ، وتوشيته بصور طريفات فيها جمال وحياة

كانت وحدة الأذواق والميول ، تدفع في الغالب إلى عقد هذه المجامع ، وربما كان السببُ في بعض الأحايين ، نبلَ أميرة ، أو ذكاء سيِّدة ، أو عبقرية أديب ، أو الطمع في غرضٍ نبيل والسعي وراء غاية مثلى . وقد بدأت هذه المجامع تظهر منذ القرن

والكفر بالأدب كفرٌ بحق الله في اصطفاء من يشاء

ثم ماذا ؟

ثم يبقى القول بأن إيمان الأدباء بالله ضعيفٌ ضعيف ، فما زالوا يتوهمون أن لهم حوائج مع الخلائق ، وهذا شركٌ لا يرضاه الله ولا نرضاه

أنا أعرف السر في انهيار دولة الأدب في جميع الأجيال ، فقد كان الأدباء يجافون الله ويصافون الناس

فيا أيها المبدع الأول والأخير لأنوار القلوب وأضواء العقول ، تفضلْ فاجذبنا إليك ، حتى لا نرى روحاً سواك ، ولا نشهد إلا إياك ، ولا نستجير بغير حماك ، ولا نعتمد إلا عليك فما يعتمد على الخلائق غير الأذلاّء

الأدب خير ما أبدعتَ ، فهو منك وإليك ، ولك الحمد وعليك الثناء .

زكي مبارك

السادس عشر ؛ ففي أسبانية أسس أول مجمع أدبي حوالي سنة (١٥٣٠) وكان يرأسه « دلافيرجا C. de la Verga » وكان ينهج هو وصديقه « Boscan » نهج الشعراء الإيطاليين ويقلدان آثارهم تقليداً شديداً

وجعل فريق من المعجبين بالشاعر الإيطالي « بترارك » في فرنسة ، مدرسة خاصة به في « ليون » ، في منتصف القرن السادس عشر . وكان أفراد هذه المدرسة يتتبعون آثار ذلك الشاعر ، ويسلكون نهجه ، وينشرون مبادئه الأخلاقية ، ويرون أن شعره أحسن وأرفع شعر ينبغي للشعراء أن يغترفوا من معينه دائماً

وفي هذه الحقبة ، أعني في منتصف القرن السادس عشر ، أسس في باريس مجمع سموه « بلياد Pleiade » (١٥٥٠) . وكان يرأسه « رونسار Ronsard » الشاعر ، وفيه ستة آخرون ، وقد كان هذا الاسم يطلق في القرون الخالية على بنات أطلس وبليون Pleïone السبع اللواتي قتلن أنفسهن من الخيبة ، ثم انقلبن إلى نجوم تسطع في السماء ، كما تروي الأساطير . وقد اتخذ هذا الاسم سبعة من الشعراء اليونانيين لمجمع لهم ؛ ثم أطلقه رونسار على مجمعه بعدهم . وكان رونسار وأصدقاؤه ينشرون الشعر الإيطالي وينقلونه إلى الفرنسية . وقد بينا هذا في مقالنا عن أثر الآداب الأجنبية في الأدب الفرنسي في هذه المجلة ، فليرجع إليه(١)

وفي انجلترا جمعت « الكونتيس دوبمبروك Comtesse de Pembroke » حولها فئة من الشعراء الذين كانوا يقلدون مآسي الشاعر الفرنسي R. Garnier « كهيبوليت Hippolyte » و « اليهود Les Juives » وغيرها ، وكانوا يحاولون الوقوف دون انتشار الدرام الحرة التي قامت قبل شكسبير

وفي سنة (١٧٧٠) قام فريق من الأدباء في غوتنجن Gôttingen فأسسوا مجمعاً سموه « مجمع الاتحاد Union » وكان هدفهم تمجيد « ڤولتير Voltaire » الشاعر الفرنسي و« ويلند Wieland » الشاعر الألماني ، الذي أطلقوا عليه اسم « ڤولتير ألمانية » وكانوا معجبين أيضاً بالشعراء الإنجليز

---

(١) في العدد ٤٥٧ من هذه المجلة

وفي الوقت نفسه أسس في ألمانية المجمع المُسمّى : « Assaut et élan » وكان يمجد « أوسيان » و« شكسبير » الإنجليزي ، وروسو الفرنسي

وفي أواخر القرن الثامن عشر ، كانت المدرسة الابتداعية الألمانية التي كان يرأسها « شلجل Schlegel » تتعطش لآثار شكسبير و « سيرفانتس Servantès » الأسباني ، وأدباء المآسي في أسبانية والبرتغال

وقامت في السويد ، في أوائل القرن التاسع عشر ، جمعية العصبة السويدية المسماة « Fosforistes » لتنقل إلى شعرها محاسن الشعر الابتدائي الألماني والإنجليزي .

أما في فرنسة ، فقد قامت في القرن التاسع عشر عدة ندوات أدبية ؛ فقد كان « ستاندال » الروائي ، و « آمبير Ampère » الأديب المؤرخ ، و « جاكومونت Jacquemont » الرحالة ، و « ميريمه Merimée » الكاتب الروائي ، يجتمعون في دار « دليكلوز Delecluz » المصور الشهير والنقاد اللاذع ، ليقرأوا آثار أوسيان الأيقوسي ، وروائع شكسبير ، ويمجدوا آياتهما

وكان هناك عصبة هوغو المسماة « سيناكل Cénacle » ومعنى هذا الإسم ، صومعات صغار أدبية . وكان يطلق في الزمن الغابر على الغرفة التي كان المسيح عليه السلام يجمع فيها تلاميذه ثم أصبحت تطلق على كل اجتماع ، وخُصّت أخيراً بمجمع هوغو في فرنسة . وكان من أفراد هذا المجمع « دُفيني A. de Viny » الشاعر المتشائم ، و « نوديه Ch. Nodier » القصصي ، وديشامب Deschamps الروائي ، ودموسيه A. de Musset صاحب الليالي ، وغيرهم . وكانوا ملهوذين بروائع شكسبير و « بيرون Byron » و « سكوت Scott » يتتبعون آثارهم ويستوحونها في كثير من الأحايين .

وقد نجد في بعض الأحايين مجامع أدبية كانت تقوم حول مجلة أفرادها هم مؤسسوها والمحررون فيها . كالمجمع الذي قام حول مجلة La Muse Française ، و « Globe » في فرنسة ، ومجلة « L'Europeo » في إسبانية ، ومجلة « Fosforos » في السويد ، ومجلة « L'Athenœum » في ألمانية ، ومجلة « Conciliatoré » في إيطالية .

وإلى جانب هذه المجامع ، كانت تقوم أبهاء الأدب وصالوناته . وقد كان لها أثر في نمو الأدب ونهضته وبعثه . وأقدم بهو هو بهو أوتيل دُرامبويّه « L'Hotel de Rambouillet » . وكان لصالونات باريس في القرن الثامن عشر أثر وصدى بعيد ، وساعدت على انتشار ألوان طريفة من الآداب الأجنبية . كصالون مدام ديفاند ، والآنسة دلسبيناس . . . وكان رجال هذه الأبهاء متأثرين بالأدب الإنجليزي . وفي ستوكهولم كانت سيدتان مركزين للأدب فتحا قصريهما لأهله ، وهما : السيدة نوردينفلخت والسيدة لينوجرن « Mme. Nordenflycht » و « Mme. Lenugren » . وفي لوندرة قام صالون الدوقة دُمازاران duchesse de Mazarin في القرن السابع عشر ، وصالون اللادي هولاند Lady Holland في القرن الثالث عشر . وكانت هذه الأبهاء وسيطة لنقل الأدب الأجنبي إلى انجلترا ، ومن انجلترا إلى فرنسة .

وفي القرن التاسع عشر نجد في فرنسة صالون « مدام موهل Mme. Mohl » و « مس ماري كلارك » . على أن أعظم هذه الصالونات أثرا ، صالون « مدام دستال » في قصر « كوبه » الذي فتح أبوابه من سنة ١٧٩٥ إلى سنة ١٨١١ . وكان مهبطاً للعلماء ومزاراً للأدباء

وتبيان أثر هذه المجامع والأبهاء في نشر الآداب وإحيائها ، بصورة أكثر تفصيلاً يحتاج إلى صفحات مطولات . غير أن من المقرر أنها كانت وسيلة إحياء وتلقيح وازدهار ، وأنها كانت سبباً في تقدم ونمو وانتشار

* * *

هذه لمحة عن مجامع الأدب الخاصة في الغرب ، ذكرت ما كان له منها شأن وأثر كبير . وهناك مجامع وأبهاء أقل شأناً أغفلتها . وليت أدباءنا يعنون بنشر ما يعرفونه عن المجامع الأدبية الخاصة في مصر والشام والعراق ، في العصر الخالي أو العصر الحاضر ، في هذه المجلة . فإن في ذلك طرافة ومتعة وتسجيلاً لصفحة من صفحات تاريخ أدبنا الذي نكتبه اليوم .

(دمشق) صبوح الدين المجيد

الشعب الحبشى

للدكتور فؤاد حسنين

إذا تحدثت لقراء الرسالة عن الحبشة فإنما أتحدث عن بلاد تربطها بالشعوب العربية روابط عديدة أذكر منها على سبيل المثال إلى جانب الجنس واللغة ، الدين والجوار . الشعب الحبشى فى مجموعه سامي حامى ، ولفظ حبشة إن دل على شىء ، فإنما يدل على تلك القبائل التى استوطنت بلاد العرب الجنوبية ولعبت دوراً هاماً فى التاريخ المعينى السبأى . والتاريخ يحدثنا أن هذه القبائل ، أعنى قبائل حبشة ، هاجرت من بلاد العرب الجنوبية حوالى القرن العاشر قبل الميلاد واستوطنت الجزء الشمالى من بلاد الحبشة. فأطلق على ذلك الجزء اسمها . ومن ثم عمم العرب هذه التسمية فأطلقوها على هذه البلاد الواقعة بين خطى عرض ٤ و ١٥ شمال خط الاستواء . فسكان البلاد الذين أطلق اسمهم على تلك البلاد عرب وعرب خلص نزحوا من بلاد معين وسبأ فى عصر كان يطلق فيه بحق على بلاد اليمن بلاد العرب السعيدة حيث المدنية زاهرة والحضارة زاخرة . نزحت تلك القبائل إلى القارة السوداء فحملت معها كثيراً من معالم الحضارة العربية الجنوبية من دين وكتابة وعلم وأدب، فغزرت العقول كما غزرت البلاد، وأقامت هناك الدعائم الأولى للحضارة الأثيوبية وأزالت العقبات التى كانت تعترض تقدم العقل الأفريقى ومهدت للديانات السامية السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام بفتح تلك البلاد وتثبيت أقدامها . نزلت قبائل الحبشة ذلك الصقع الأفريقى فوجدت فيه عنصراً أفريقياً وآخر حامياً انفصل عن أرومته السامية الأصلية فامتزجت بهما وتكون من هذا المزيج الشعب الحبشى الحالى ، فهو إذاً شعب مركب من عنصر أفريقى قديم، وآخر حامى أو كوشى ، وثالث سامى . فنحن نرى من هذا أن سكان البلاد ينتمون إلى جنس هو جنسناء ولسانهم ، قديمه وحديثه ، ينتمى إلى الأسرة السامية الحامية التى تضم كثيراً من اللغات كالعربية والمصرية القديمة . وقد عرضت لإثبات هذه العلاقة بين الأحباش والساميين أسطورة حبشية قديمة تتصل عناصرها بقصة من قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم أعنى قصة ملكة سبأ وسليمان . فالأسطورة الحبشية ككثير من الأساطير تتحدث عن تنين عظيم كان يحكم البلاد قروناً عديدة وكان على جانب عظيم من البشاعة والشراهة إذ كان يفترس يومياً ما لا يقل عن عشرة بقرات ومثلها من الثيران وألف رأس من المعز ومائة من الضأن وكثيراً من طيور السماء إلى جانب ما يقدم له من العذارى ، فضاق السكان به ذرعاً فلجأوا إلى شخص اشتهر بالقوة يسمى (إنجابو) وفاوضوه فى أن يقتل التنين ويتولى هو الملك عليهم ، فقبل (إنجابو) وقتل التنين وتولى الملك وأنجب ابنة تسمى (ماكدا) وهى التى تعرف فى التاريخ باسم ملكة سبأ ودخلت ملكة سبأ فى حرم سليمان ، وفى طريقها إلى بلادها وضعت غلاماً أسمته (ابن حكيم) أو ابن سليمان ، وهو المعروف فى التاريخ الحبشى باسم (منليك الأول) مؤسس الأسرة السليمانية التى جلست على عرش الحبشة من (٩٥٠ ق . م إلى ١٨٥٥ م .) . فمن هذه الأسطورة نعرف العلاقة بين الفرعين الساميين من ناحية ، ونفهم الحكمة فى أن نجاشى الحبشة يعتبر نفسه أسد سبط يهوذا الذى رمز إليه فى العلم الحبشى بأسد متوج شاهراً بيمينه صولجان القوة والجبروت .

وكما أن بلاد الحبشة هى الملتقى لهذه العناصر السامية الحامية ، فهى الأرض التى نجد من بين سكانها الوثنيين واليهود بين والمسيحيين والمسلمين . فالوثنيون يدينون بوثنية تحمل إلى جانب طابعها الأفريقى طابعاً أسيوياً يمنياً ، فإلى اليوم ما زلنا نقرأ فى الكتب الحبشية والآثار الأدبية كثيراً من الألفاظ الوثنية القديمة مثل (محرم) إله الحرب ، و (عستر) إله السماء ، و (مدر) إله الأرض ، و (بحر) إله البحر . وإلى اليوم أيضاً ما زال أصحاب هذه الديانة يلعبون دوراً هاماً فى التنافس القائم بين المسيحية

والإسلام ، فمن بين العشرة ملايين نسمة التي يتكون منها الشعب الحبشي نجد نحو ثلاثة ملايين يدينون بالمسيحية التي أدخلها المبشرون البلاد في القرن الرابع الميلادي ، وأصبحت دين الأسرة الحاكمة الرسمي عام ٣٠٠ م عند ما اعتنقها الملك (عزانا) . أما البقية الباقية من السكان فكثرتها تدين بالإسلام ولا يقل معتنقوه عن خمسة ملايين نسمة . ومن الجدير بالذكر هنا أن قبائل كثيرة مسيحية ووثنية أخذت تسارع إلى الدخول في الإسلام في السنوات الأخيرة حتى أزعج ذلك كثيراً من الدول الأوربية فسارعت إلى مكافحته والوقوف في وجهه . وهذا التنافس بين الإسلام والمسيحية ليس حديث عهد في الحبشة . فالتاريخ الحبشي نفسه يحدثنا أن تاريخ المسيحية هناك عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح لتثبيت قدمها ومقاومة انتشار الإسلام . ولعل أهم عصر يتجلى لنا فيه هذا الصراع الديني هو الزمن الممتد ما بين عامي ١٥٤١ و ١٥٤٣ ؛ ففي ذلك الوقت ظهر قائد حبشي مسلم يسمى أحمد بن إبراهيم ، اشتهر ببسالته ومهارته الحربية ، فبعد أن كان جندياً بسيطاً أصبح أميراً على هرر . وفي عام ١٥٢٧ هاجم بقية الولايات الحبشية واستولى عليها وأخضعها لسلطان المسلمين ، وهرب الملك المسيحي (لبنا دنجل) واعتصم بالجبال ، ولو لا أنه استعان بالبرتغاليين الذين خفوا لمساعدته ما استطاعت المسيحية أن تعود ثانية إلى الحبشة . لكن هذا النفوذ الأوربي الذي استعانت به المسيحية في ذلك العصر عاد على الحبشة بأوخم العواقب ؛ فمنذ النصف الثاني من القرن السادس عشر أخذت تعنى بعض الدول الأوربية بالحبشة وظهرت في عالم السياسة المسألة الحبشية التي كانت سبباً قوياً من أسباب انقسام أوربا إلى معسكرين عظيمين لن يحل السلام بلادها إلا بعد أن تنقوض أنظمة ، ويعم الخراب ، ويكثر الدمار . وبيان ذلك الاهتمام بالمسألة الحبشية أن أوربا منذ ذلك الحين أخذت تبعث الجمعيات التبشيرية إلى جانب بعض الرحالة والعلماء . وفي القرن السابع عشر أخذ المستشرقون الألمان يعنون بتاريخ الحبشة ولغتها . وفي القرن الثامن عشر نجد الرحالة والمستشرق الإنجليزي (بروس) يدخل الحبشة عن طريق مصر مكتشفاً منابع النيل . وفي عام ١٨٥٥ نجد أحد قطاع الطريق من الأحباش الذي كان راهباً وهرب من الدير يشن الغارات على سائر الأمراء وينتزع السلطان من أيديهم ويكلف (أبونا) أن يتوجه (نجوس نجست ذَ إيتيوبيا) أي ملك ملوك إيتيوبيا وتسمى باسم (تيودور الثاني) وأخذ يقوم بإصلاحات داخلية كبيرة ، فألغى الرق وحرم تعدد الزوجات وضم إليه إقليم (شوا) وأصبح ذلك الملك الذي كان في صباه فقيراً مشرداً والذي كان يسمى (كسا) والذي كانت أمه تبيع في أسواق (جندار) غنياً قوياً وحد الحبشة وأخذ يخلق من شعبه أمة قوية مهيبة الجانب ، فاصطدم ببعض الأجانب المقيمين في بلاده ، فأرسلت انجلترا عام ١٨٦٧ اللورد (نابيير) على رأس حملة تأديبية للحبشة استولت بدون كبير عناء على حصن (مجدلا) ، ولما أيقن الملك بالهزيمة انتحر ، فكان موته سبباً في تفكك الوحدة الحبشية أيام خلفه الملك (يوحنا الرابع) الذي توجه الإنجليز عام ١٨٧٢ . وفي أيامه قام ابن والي إقليم (شوا) وطالب بإعادة إقليمه إليه فمنحه وأصبح ملكاً عليه وتسمى باسم (منليك) ، ومن حسن حظه أن يوحنا قتل في حربه مع الدراويش عام ١٨٨٩ فأعلن (منليك) نفسه ملك ملوك وأخذ يعمل جهده لجمع صفوف أفراد شعبه فهاجمته إيطاليا فهزمها شر هزيمة في موقعة عدوة عام ١٨٩٦ . وقد كان منليك هذا محبوباً من شعبه ، حتى أنه يقسم به إلى اليوم ، كما تم في أيامه الخط الحديدي من جيبوتي إلى أديس أبابا . وفي عام ١٩٠٨ مرض مرضاً أقعده عن القيام بمهام الحكم ، فتنازل عن الملك لامرأته (تيتو) وتوفي هو في ١٢ ديسمبر عام ١٩١٣ ، وتولى الملك بعد وفاته حفيده (ليدو يسوع) وكان يميل إلى الإسلام فلما ظهرت ميوله إلى الإسلام والمسلمين اجتمعت عليه عوامل مختلفة خارجية وداخلية وخلعته وزجت به في السجن عام ١٩١٧ ، وتولت بعده

أطوار الوحدة العربية

عوامل ثورة العرب

للأستاذ نسيب سعيد

أظنك لا تزال تذكر أني وعدتك في حديثي الماضي أن أفصل لك ما أجملت من الأسباب المباشرة لثورة العرب الكبرى . وقد رددت هذه الأسباب إلى عوامل أربعة ، وهي : العامل الشخصي ، والإقليمي ، والديني ، والقومي . وها أنا الآن — برًّا بالوعد الذي قطعته على نفسي — أشرع بالإسهاب والتفصيل فأقول :

١ — العامل الشخصي

يذهب الباحثون إلى القول أن في مقدمة العوامل المباشرة للثورة العربية اعتقاد زعيمها « الحسين بن علي » بأن رجال

الأميرة (زوديتو) ابنة (منليك) وإلى جانبها الرأس (تفاري) ابن عم (ليدو يسوع) حاكما على البلاد ، وبقيت السلطة في يد (زوديتو) حتى ٧ أكتوبر ١٩٢٨ إذ نودي بالرأس (تفاري) ملكاً فقط . وبعد وفاة القيصرة عام ١٩٣٠ أصبح ملك ملوك في ٢ نوفمبر ١٩٣٠ ولقب بلقب (هيلاسلاسي) أي قوة الثالوث . وما كاد يجمع عزيمته للعمل على رفع مستوى شعبه علمياً وأدبياً وعسكرياً حتى انقضت عليه إيطاليا الفاشستية واغتصبت منه عرشه . لكن هذا النصر الإيطالي لم يكن في الحقيقة إلا انتصار الحديد ووسائل القتال الحديثة التي لم تكن متوفرة عند الحبش على الشجاعة والبطولة والإيمان بالقول المأثور (النصر مكتوب لأسد سبط يهوذا) الذي تحقق أخيراً بفضل تعاون الأسدين اليهوذي والسكسوني .

فؤاد حسنين
مدرس بكلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

الدولة العثمانية قد انتزعوا كل ثقة منه ومن أنجاله ، وأنهم يتحينون الفرص للقبض عليه وإقصائه ونفيه إلى أقاصي البلاد . ولا يخفى عليك أن الغاية الأساسية للترك من إرسال وهيب باشا القائد التركي العام إلى الحجاز وتزويده بما زود به من سلطة واسعة ، هو لأجل القضاء على كل ما « للحسين » من نفوذ وشوكة في البلاد العربية . ويعترف جمال السفاح في مذكراته أن وهيب باشا هذا طلب من الحكومة إرسال فرقة من الجند لتنفيذ مشروعه ، ولو لا مفاجأة الحرب العظمى — وقد جاءت على حين غرة — لنفذ ذلك المشروع الظالم ، ولقضوا على « الحسين » قضاء أبدياً ، بل لقضوا على كل حركة أو نهضة قومية في بلاد العرب

ويضاف إلى ذلك ما يردده البعض من المؤرخين وهو أنه كان « للحسين » عيون في ديوان حكومة مكة ، وفي مكتب برقها ، وفي الباب العالي أيضاً يوافونه بكل ما يدور بشأنه من مكاتبات بين الآستانة ومكة ، ويطلعونه على جميع الخطط والتدابير . وما كان باستطاعة الاتحاديين الترك معرفة شيء من أسراره وخططه لأنه كان حذراً ، شديد التكتم ؛ وقد ظل يجاملهم ويلاطفهم ، حتى اضطرهم إلى استبدال وهيب باشا بغالب باشا في أوائل زمن الحرب الماضية ، فارتاح من خصم شديد المراس ، وخلا له الجو في العاصمة العربية فتصرف كما أراد وتسنى له أن يستأثر بمقادير كبيرة من السلاح في خلال سنتي الحرب الأوليتين ، كما استطاع الحصول على مبلغ كبير من المال لا يقل عن ٦٠ ألف ليرة عثمانية ذهب من جمال السفاح . ولعل خوفه من الانتقام هو الذي جعله يشترط على الترك في خلال المفاوضات التي دارت بينه وبينهم جعل الإمارة العربية وراثة في أنجاله لأنه كان يخشى إقصاءه في أول فرصة تسنح ، فأراد لذلك أن ينال من الدولة العثمانية عهداً باستبقاء الإمارة في بيته وذريته فيطمئن ويرتاح ، فأبى عليه رجال الترك ذلك

٢ — العامل الإقليمي

ويأتي العامل الإقليمي أو الاقتصادي بعد العامل الشخصي، ويجب أن يحسب حسابه أيضاً؛ وقد نشأ عن مركز الحجاز الاقتصادي وعن حالته الاستثنائية. فالحجاز قطر مجدب أو واد غير ذي زرع كما وصفه التنزيل العزيز. وقد اعتاد سكانه أن يعيشوا مما يدره عليهم موسم الحجيج. ولا يخفى أن الحرب العظمى أعلنت في شهر رمضان عام ١٣٣٢ أي قبل موسم الحجيج بثلاثة أشهر تقريباً، فضرب الحصار البحري على سواحل الحجاز في البحر الأحمر فتعطل بذلك موسم الحج، وشعر سكان الحجاز بالضائقة الاقتصادية الخانقة، وشعروا كذلك بألم الجوع، فكاتب الشريف «حسين» الحكومة وبسط لها الموقف الاقتصادي في القطر المقدس بسبب تعطيل موسم الحجيج فاعتذرت بسوء الحالة، وبحاجة الجيش إلى القوت، ولم ترسل شيئاً يهون على العرب هناك أمرهم وما هم فيه من ضنك وضيق فجاءوا الحسين يتوسلون إليه أن يعمل لإنقاذهم، والوسيلة الوحيدة للخلاص من تلك الضائقة المستحكمة الحلقات كانت بمحالفة البريطانيين، والاتفاق معهم على إلغاء الحصار البحري فتعود السفن والبواخر إلى زيارة الحجاج حاملة الميرة والحجاج والأموال والخيرات

٣ — العامل القومي

وخلاصة ما يقال فيه أن الحسين، وقد كان العرب ينظرون إليه كأكبر زعيم عربي في ذلك العهد كبر عليه أن تساق الحرائر من أبناء أمته إلى الأناضول سبايا تحت ستار النفي والإبعاد، وأن يقتل كبار قومه، ويقلبوا ويمحوا من الأرض ويشتت شملهم لا لذنب جنوه ولا لإثم اقترفوه، وإنما لأنهم طالبوا الدولة العثمانية بإصلاح بلادهم العربية خوفاً من أن يؤدي الإهمال فيها إلى تدخل الدول الأجنبية في شؤونها باسم الإصلاح — كما جره من قبل في البلقان — ولذلك لم يجد الأمير العربي بداً حينما وقعت الواقعة، وأصم الترك آذانهم، من إجابة ملتمسه بالعفو عن زعماء العرب وأحرارهم من إعلان الثورة الكبرى انتقاماً لهم من الترك، وطلباً للثأر، ولإنقاذ بقايا السيوف من أبناء العروبة الأحرار، وقد كانوا مهددين بالفناء والموت المحتم.

وهنالك شبه إجماع بين الباحثين في القضية العربية على أن إسراع «الحسين» في إعلان ثورة العرب بعد الفتك بالرعيل الأول والثاني من الشهداء الأبرار، ونفي الأسر الكبيرة العربية إلى أقاصي الأناضول، حمل الترك على تغيير سياستهم وأساليبهم كما اضطرهم إلى استقدام جمال باشا وتنحيته عن العمل في بلاد الشام، فعاد إلى عاصمة الترك يجر أذيال الخيبة والانكسار بعد ما فشلت مساعيه، وخابت آماله في إنشاء عرش له في دمشق يتبوأه ويورثه لأبنائه من بعده وعلى الباغي تدور الدوائر

هذا من ناحية واحدة، أما من الناحية الأخرى فقد كان الاعتقاد سائداً بين العقلاء أن النصر في ختام الحرب سيكون للانكليز وحلفائهم، فتدور الدائرة على الألمان وأنصارهم ومنهم الترك فتنقرض الدولة العثمانية، ويموت الرجل المريض، ويستولي بالتالي — الحلفاء على أراضي تلك الأمبراطورية الواسعة، وبلاد العرب من جملتها، وهكذا يقع العرب في أيدي الدول الغربية الكبرى؛ ولذلك كان لا بد للحسين بصفته زعيم العرب الأكبر يومئذ من الاتصال بخصوم الترك والألمان، وعقد المواثيق معهم لإنقاذ دنيا العرب من أيدي الظلم والاستعباد، وإنشاء الدولة العربية الكبرى الموحدة، فتحل في الشرق مكان الدولة العثمانية المنقرضة، وتجدد مجد العرب الخالد، وتبعث عزهم الطريف التالد، وتحيي دولتهم العظيمة

٤ — العامل الديني

وأخيراً يجب ألا ننسى العامل الديني أيضاً، فقد كان الحسين، وهو صلب في دينه، شديد التمسك بأحكام الشريعة السمحاء، مغرقاً في المحافظة على التقاليد الإسلامية الحنيفة، يعتقد بكفر الاتحاديين الترك وخروجهم على الإسلام لأعمال بعضها بسطاً وافياً في المنشور الذي أذاعه على العالم الإسلامي

يوم إعلان ثورة العرب ، وقد نفهى من هذه المقدمة السلبية إلى نتيجة إيجابية وهى فرض قتالهم على كل مسلم ، والجهاد فيهم إنقاذاً للأمة من شرورهم . وقد قام بهذا الواجب حين أعلن الثورة عليهم وقاتلهم قتالاً رهيباً ...

تلك هى خلاصة العوامل التى عجلت فى إعلان ثورة العرب الكبرى ، ودفعت أميرهم « الحسين » إلى الصراع مع الترك وأنصارهم ، والانضمام إلى البريطانيين وحلفائهم .

والباحث المدقق فى هذه الثورة التى نشبت فى الحجاز أولاً ثم امتدت إلى بلاد الشام وغيرها من أقطار العروبة يجد أنها تمتاز عن الثورات والحركات العربية القومية الأخرى ، بكونها أول حركة استقلالية قام بها العرب مطالبين بالحرية والاستقلال ، والانفصال عن الترك والإفلات من نير الدولة العثمانية الجائر لتأسيس ملك عربى مجيد ، وتقلدوا السلاح لأجل ذلك . كما أنها كانت أعم ثوراتهم وأوسعها نطاقاً فقد اشترك فيها أبناء الحجاز ، ومصر والشام والعراق واليمن ونجد والشمال الأفريقى فوقفوا جنباً إلى جنب يقاتلون الترك تحت راية العروبة الخفاقة ، فأنقذوا الحجاز وحرروه من كل نفوذ أجنبى ، ثم واصلوا السير نحو الشام فاستولوا على جنوب القطر الشامى ثم اخترقوه وبلغوا أقصى حدوده الشمالية ، ولو ساعدتهم الظروف لواصلوا التقدم إلى العراق ، ولاستولوا عليه أيضاً . على أن ما فاتهم فى عام ١٩١٨ أدركوه فى سنة ١٩٢٠ فقد أنشأوا حينئذ حكومة عربية برئاسة أحد أبناء « الحسين » فى تلك الربوع

فهذا الطابع الخاص الذى طبعت به ثورة « الحسين » جعل لها مقاماً ممتازاً فى نفوس العرب على اختلاف أقطارهم ، وتباعد ديارهم ، وجعلهم يكبرون شأنها ، ويحتفلون بذكراها ، يضاف إلى ذلك أنها أنقذت الكثيرين من رجال سورية والعراق من موت محتم أو من شقاء دائم ، فقد كانت الخطة التى سار عليها الاتحاديون الترك فى ذلك العهد المظلم تقضى بنفى الأسر العربية الكبرى إلى أقاصى الأناضول لتتريكها وإفنائها ، واحتلال الأرمن محلها فيصبح الناس فى الشام بلا سراة ، كما أنها اضطرت الترك لإطلاق سراح كثيرين من الذين كانوا معتقلين فى غياهب السجون ، وكانوا ينتظرون صدور الأمر بإعدامهم من آن لآخر شأن إخوانهم الشهداء الذين سبقوهم .

وسيقدر العرب الأبرار — كلما طال بهم الزمن وامتد — ثورة أجدادهم هذه حق قدرها ويكبرونها ويجلونها ويدركون أنها من أنبل الثورات وأشرفها ، وإن الدعايات التى بثها الترك والألمان ضدها فى إبان الحرب الماضية لتشويه سمعتها ، ما كانت سوى أضاليل اقتضتها مصلحتهم السياسية ؛ ورغم النقائص التى اقترنت بها أسدت للعرب يداً كبرى ، وفتحت لهم باب الحياة القومية ، وعلمتهم كيف يثورون على الظلم والاستبداد ، ويقاتلون الظلام والمستبدين ، وكيف يطلبون الثأر والانتقام لأحرارهم وزعمائهم ومفكريهم الذين غدر بهم الترك ، وسقوهم كأس الردى لأنهم نشروا « الفكرة القومية » المقدسة ودعوا إليها . أما كيف أعلنت الثورة ، وأين كانت ميادين الصراع ، فهذا سيكون موضوع حديثنا المقبل ، فإلى اللقاء .

« دمشق » نسيب سعيد الحمامى

الصديق

أبو بكر

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

ثمنه ٣٠ قرشاً

خلاف البريد

ملتزمة النشر

مكتبة النهضة

٩ شارع عدلى بمصر

٤ ـ خـــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد
للأســـتاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس بدر الحسن بن حمدان ، ورءوس جماعة من أصحابه

ذكر مسكويه فى حوادث سنة ٣٠٤ هـ أنه « قبض على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع إخوته وحبسوا فى دار السلطان . وكان هرب ابن الحسين بن حمدان فى جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد ، فأوقع بهم الجزرى وقتل ابن الحسين وجماعة من أصحابه وحملت رءوسهم إلى الحضرة »[١]

(د) رأس ليلى بن النعمان الديلمى

كان من ماجريات سنة ٣٠٩ هـ ، أنه « دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمى الذى خرج بطبرستان[٢]

(هـ) رأس أحمد بن على

ارتكب أحمد بن على وهو من أمراء الأعاجم من الظلم والشر أمراً عظيما ، وذاع خبر شره ؛ فخافه الناس . ولكن أمد الظلم قصير ، « فلما كان فى ذى الحجة من سنة ٣١١ هـ ، ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبى الساج بأحمد بن على أخى صعلوك ، وقتله إياه ، وأنه أخذ رأسه وهو على حمله إلى بغداد »[٣]

ثم قال مسكويه فى أحداث سنة ٣١٢ هـ ، إن « فى هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر فى مصير ابن أبى الساج من آذربيجان إلى الرى ومحاربته أحمد بن على ، وحمل رأس أحمد ابن على وجثته إلى مدينة السلام »[٤]

(و) رأس الصيدلاوى

لم تخل خزانة الرؤوس حتى من رؤوس العيارين ، والشطار وقطاع الطرق . فهذا المعروف بالصيدلاوى كان « يقطع الطريق فاحتال عليه بعض الولاة فدس إليه جماعة من الصعاليك أظهروا الانحياز إليه ، فلما خالطوه ؛ قبضوا عليه وحملوه أسيراً إلى الكوفة ، فقتل وحمل رأسه إلى بغداد »[١]

(ز) رءوس جماعة من الفرنج :

كان من أجلّ أنباء سنة ٥٥٢ هـ : الواقعة بين الإسلام وبين الفرنج . قال ابن الجوزى : « وكانت وقعة عظيمة بين محمود بن زنكى وبين الإفرنج ، وفتح عسكر مصر غزّة واستعادوها من الإفرنج ، ووصل رسول محمود بتحف وهدايا ورءوس الإفرنج وسلاحهم وأتراسهم »[٢]

٣ — نصب الرءوس فى جانبى بغداد

(ا) رأس رافع بن هرثمة :

من الأنباء التى حفلت بها سنة ٢٨٤ هـ : « قدوم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع بن هرثمة فى يوم الخميس لأربع خلون من المحرم على المعتضد ، فأمر بنصبه فى المجلس بالجانب الشرقى إلى الظهر ، ثم تحويله إلى الجانب الغربى ونصبه هنالك إلى الليل ، ثم رده إلى دار السلطان[٣] . وخلع على الرسول وقت وصوله إلى المعتضد بالرأس »[٤]

٤ — نصب الرءوس على جسور بغداد

(ا) رأس القرمطى ، ورءوس جماعة من قواده وأصحابه :

والقرمطي هذا ، هو الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، الذى اشتهر أمره ، وبالغ فى الظلم والفساد ، وهـ م جيوش الخليفة غير مرة : وقد شرح أمره وأعماله جملة من المؤرخين ، فإذا أردتها فارجع إلى سنة ٢٩١ هـ وما قبلها تجد أخباره مفصلة . والذى يهمنا ها هنا رواية تعذيبه وقطع رأسه إذ كان قد حان قطافه . ودعنا نستل خبره من الطبرى الذى قال فى الوقعة بين القرمطى هذا وبين أصحاب الخليفة : « ... ولما تقدمت [الكلام لمحمد بن سليمان الكاتب] فى جمع

(١) تجارب الأمم (٥ : ٣٨)
(٢) تجارب الأمم (٥ : ٧٦)
(٣) تجارب الأمم (٥ : ١١٧)
(٤) تجارب الأمم (٥ : ١١٩)

(١) المنتظم (٧ : ١٠٥ ؛ حوادث سنة ٣٢٠ هـ)
(٢) المنتظم (١٠ : ١٧٦)
(٣) رد إلى دار السلطان — أى دار الخلافة — ليوضع فى خزانة الرءوس على الرسم
(٤) تاريخ الطبرى (٣ : ٢١٦٠) ؛ وانظر : مروج الذهب (٨ : ١٨٠) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٧٦)

الرءوس ، وجد رأس أبي الحمل ، ورأس أبي العذاب ، وأبي البغل وقيل النعمان قد قتل ؛ وقد تقدمت فى طلبه وأخذ رأسه وحمله مع الرءوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله »[1]

وها هو ذا يحدثنا عن القرمطى وأصحابه يوم جيء بهم أسرى إلى بغداد لينالوا جزاء ظلمهم وعيثهم ، ولا يبعد أنه رأى المشهد بعينه ؛ فأمعن فى الوصف وبالغ بذكر هذه الحقيقة . ودونك ما قاله : « . . . ولما كان يوم الإثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول أمر المكتفى القواد والغلمان بحضور الدكة التى أمر ببنائها ، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها فحضروها ؛ وحضر أحمد بن محمد الواثق وهو يومئذ يلى الشرطة بمدينة السلام ، ومحمد بن سليمان كاتب الجيش ، الدكة فقعدا عليها . وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفى معه من الرقة ، والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومن كان فى السجن من القرامطة الذين جمعوا من الكوفة ، وقوم من أهل بغداد كانوا على رأى القرامطة وقوم من الرفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة ، وكانوا قليلاً ، فجيء بهم على جمال وأحضروا الدكة ووقفوا على جمالهم ، ووكل بكل رجل منهم عونان ، فقيل إنهم كانوا ثلثمائة ونيفاً وعشرين وقيل ثلثمائة وستين . وجيء بالقرمطى الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر على بغل فى عمارية ، وقد أسبل عليهما الغشاء ومعهما جماعة من الفرسان والرجالة ، فصعد بهما إلى الدكة وأقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون إنساناً من هؤلاء الأسارى ؛ فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم واحداً بعد واحد ؛ كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فيقطع يمنى يديه ويحلق بها إلى أسفل ليراها الناس ؛ ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم يسرى يديه ، ثم يمنى رجليه ، ويرمى بما قطع منه إلى أسفل ، ثم يقعد فيمد رأسه فيضرب عنقه ويرمى برأسه وجثته إلى أسفل . فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين نفساً ، وكانوا من وجوه أصحاب القرمطى فيما ذكر وكبرائهم ، قدم المدثر فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه . ثم قدم القرمطي فضرب مائتى سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوى فغشى عليه ثم أخذ خشب فأضرمت فيها النار ووضع فى خواصره وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضها ؛ فلما خافوا أن يموت ضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة . وأقام الواثقي فى جماعة من أصحابه فى ذلك الموضع إلى وقت العشاء الآخرة ، حتى ضرب أعناق باقي الأسرى الذين أحضروا الدكة ، ثم انصرف ، فلما كان من غد هذا اليوم حملت رءوس القتلى من المصلى إلى الجسر ، وصلب بدن القرمطى فى طرف الجسر الأعلى ببغداد »[1]

(ب) رءوس جماعة من الأباضية

من الأحداث التى وقعت فى سنة ٢٨٠ هـ ؛ فى خلافة المعتضد ، على ما نقله المسعودى أن « افتتح أحمد بن ثور عمان ، وكان مسيره إليها من بلاد البحرين ، فواقع الأباضية من الشراة وكانوا فى نحو من مائتى ألف ، وكان أمامهم الصلت بن ملك ببلاد بروى من أرض عمان ، وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وحمل كثيراً من رءوسهم إلى بغداد فنصبت بالجسر »[2]

(يتبع) ميخائيل عواد

(١) الطبرى (٣ : ٢٢٤٢ — ٢٢٤٣)

(١) الطبرى (٣ : ٢٢٤٥ — ٢٢٤٦) ؛ وانظر الرواية أيضاً فى المنتظم (٦ : ٤٣) . وقال الطبرى فى حوادث سنة ٢٩٢ هـ : « ولثلاث خلون من شهر ربيع الأول منها ، سقط الحائط الذى على رأس الجسر الأول من الجانب الشرقي من الدار التي كانت لعبيد الله ابن عبد الله بن طاهر على الحسين بن زكرويه القرمطى وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط فطحنه فلم يوجد بعد منه شيء »

(٢) مروج الذهب ٨ : ١٤٣ . وانظر الطبرى ٣ : ٢١٣٨

يظهر قريباً

للشاعر محمود حسن اسماعيل

رياح المغيب

[ديوانه فى قصيدة]

أغنيـة الطبيعة فى كل مغرب شمس
من الأزل البعيد ... إلى الأبد الخالد

* * *

أعاصير عاتية من عالم النفس
تحمل إلى الحيارى سلوان السماء

ليـــالى القاهرة

للدكتور إبراهيم ناجى

أليلاىَ ما أبقى الهوى بىَ من رُشْد ... فرُدِّى على المشتاق مهجته ردِّى
أينسى تلاقينا وأنتِ حزينة ... ورأسك كابٍ من عَياء ومن سهد
أقول وقد وسدتُه راحتى كما ... توسد طفلٌ مُتْعَبٌ راحة المهد
تعالى إلى صدر رحيب وساعد ... حبيب وركن فى الهوى غير منهد
بنفسى هذا الشَّعر والخُصَل التى ... تهاوتْ على نحر من العاج منقدِّ
ترامتْ كما شاءتْ وشاء لها الهوى ... تميلُ على خدٍّ وتصدفُ عن خَدِّ
وهذى الكروم الدانيات لقاطف ... بياضُ الأمانى من عناقيدها الرُّبدِ
فيالكِ عندى من ظلام مُحَبَّبٍ ... تألَّقَ فيه الفرقُ كالزمن الرغد
ألا كلُّ حسنٍ فى البريَّة خادمٌ ... لسلطانة العينين والجِيد والقدِّ
وكل جمال فى الوجود حياله ... به ذلة الشاكى ومرحمةُ العبدِ
وما راع قلبى منكِ إلا فراشــةٌ ... من الدمع حامتْ فوق عرشٍ من الوَجد
مجنحةٌ صيغتْ من النور والندى ... ترف على روض وتهفو إلى وِرْد
يها مثلُ ما بى ياحبيبى وسيدى ... من الشجن القتَّال والظمأ المردى
لقد أقفرَ الحرابُ من صلواته ... فليس به من عابد ساهر بعدى !
وقفنا وقد حان النوى أىَّ موقف ... نحاول فيه الصبر والصبر لايجدى
كأن طيوف الرعب والبين موشكٌ ... ومزدحِم الآلام والدمع فى خدى
ومضطرب الأنفاس والضـــيقُ جاثمٌ ... ومشتبكُ النجوى ومعتنق الأيدى
مَواكبُ خرسٍ فى جحيم مؤبَّد ... بغير رجاء فى سلام ولا برْد !!
فيا أيكةً مَدَّ الهوَى من ظلالها ... ربيعاً على قلبى، وقيْئاً من السَّعد
تقلَّصتِ إلا طيفَ حب محيَّر ... على درَجٍ خابى الجوانب مسودِّ
تردَّد واستأنَى لوعد وموْثق ... وأدبرَ مخنوقاً وقد غصَّ بالوعد
وأسلمنى لليـــل والقبر باردا ... يَهُبُّ على وجهى به نفَس اللَّحد
وأسلمنى لليل والوحش راقدا ... تمزقنى أنيابه فى الدجَى وحدى
كأن على مصر ظلامين: أعكرٌ ... وآخرُ من خافى المقادير مُرْبد
رُكودٌ، وإبهامٌ، وصَمْتٌ، ووَحْشَةٌ ... وقَدْ ضمَّها الغَيْبُ المُحَجَّبُ فى بُرْدَ
كأن سماء النيل لم تلقَ حادثا ... ولاقصفتْ فيها القواصفُ بالرعدَ
أحقا تولَّى ذلك الهـــولُ، وانمحتْ ... خواطرُ ذاك الويلِ والرعب والحقد
فيا للقلوب الصابرات وقد غفتْ ... على نعمةِ الإيمانِ والشكرِ والحمدِ
ويا للقلوب المؤمنات وأمنها ... وضجعتها فى رحمة الصمد الفرد
أهذا الربيعُ الفخم والروضةُ التى ... تَزُفُّ إلى المستاف رائحةَ الخلد
تصير إذا رانَ الظلامُ ولفها ... بجنحٍ من الأحلام والصمت ممتدِّ
مباءةَ خمارٍ وحانوتَ بائع ... شقى الأمانى يشترى الرزق بالسهد
وقد وقفَ المصباحُ وقفةَ حارسٍ ... رقيبٍ على الأسرار داعٍ إلى الجد
كأن تقيًّا غارقاً فى عبادة ... يقوم الدجى أو يقطع الليل بالزهد
فيا عالِمَ الأسرار، فى الحى نائم ... قضى يومَه فى حومة البؤس يستجدى
وسادتُه الأحجارُ والمضجعُ الثرى ... ويفترشُ الإفريز فى الحر والبرد
وسيارة تجرى لأمر مغيَّب ... محجبةَ الأسرار خافيةَ القصد
إلى الهدف المستور تنتهب الثرى ... وتلمعُ لمعَ البرق يومضُ عن بُعد
متى ينجلى هذا الدجى عن مسالك ... سرنفة بالجوع والصبر والكد
ينقِّبُ كلبٌ فى الحطام، وربما ... رعى الليلَ هِرٌّ ساهر وغفا الجُندى
أيا مصر ما فيك العشية سامرٌ ... ولا فيكِ من مُصْغٍ لشاعرك الفَرد
أهاجرتى طال النوى فارحمى الذى ... تركتِ بديدَ الشملِ منتثر العقدِ
فقدتُكِ فقدان الربيع وطيبه ... وعدتُ إلى الإعياء والسقم والسهد
وليس الذى ضيَّعتُ فيكِ بهيِّنٍ ... ولا أنتِ فى الغيَّاب هينة الفقد
أتيتُك أستسقى فكيف تركتِنى ... لهذى الفيافى الصُّمِّ والكثبِ الجُرْدِ
أتيتك أستعدى فكيف تركتِنى ... إلى هـذه الدنيا وأحداثها اللدِّ
أتيتك أستهدى فكيف تركتِنى ... لهـذا الظلام المطبق الجهم أستهدى
أتيتُكِ أستشفى فكيف تركتِنى ... ولم يبق غير العظم والروح والجلد
وهذى المنايا الحمر ترقصُ فى دمى ... وهذى المنايا البيضُ تختالُ فى فودى

وكنتُ إذا شاكيتُ خففتِ محملي فهان الذي ألقاه في العيش من جَهد
وكنتُ إذا انهار البناء رفعتِه فلم تكنِ الأيامُ تقوى على هَدِّي
وكنتُ إذا ناديتُ لبَّيتِ صرختي
فوا حَرَبا كم بيننا اليوم من سدّ !
وقد كان لي العطف والحب ملكك
فأغلقتِه دوني فبتُّ بلا رَدّ !!

سلام على عينيك ما ذا أجنتا
من العطف والتحنان والحب والود
إذا كان في لحظيك سيف ومصرع
فمنك الذي يحيي ومنك الذي يردي
إذا جُرِّدا لم يفتكا عن تعمد وإن أغمدا فالفتك أروع في الغمد
هنيئاً لقلبي ما صنعتِ ومرحباً وأهلاً به لو كان فتكك عن عمد
فإني إذا جن الظلام وعادني هواك فأبديتُ الذي لم أكن أبدي
وملتُ برأسي كابياً أو مواسيا
وعندي من الأشجان والحب ما عندي
أقبِّلُ في قلبي مكاناً حللتِه وجرحاً أناجيه على القرب والبعد
ويا دارَ من أهوى ، عليك تحية
على أكرم الذكرى ، على أشرف العهد
على الأمسيات الساحرات ومجلس
كريم الهوى عف المآرب والقصد
فنادِمنا فيه تباريحُ شاعر على الدم والأشواك يمشي إلى الخلد
(فبودلير) محزونٌ و (ڤرلين) بائسٌ
(وميسيه) مجروح الهوى عاثر الجد
(وللمتنبي) غضبة مضرية وثورةُ مظلومٍ وصيحة مستعدي
دموعٌ يذوب الصخر منها فإن مضوا
فقد نقشوا الأسماء في الحجر الصلد
وما ذا عليهم إن بكوا وتعذبوا فإن دموع البؤس من ثمن المجد

ناجي

من أغاني الجسد

ليتني زورق ...

الأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظَمِئْتُ إِلَى اللهِ يَوماً ... فَلَمْ
أَجِدْ خَمْرَتِي غَيْرَ هذا الجَسَدْ
عَلَى ثَغْرِهِ آيَةٌ أَفْلَتَتْ بِأَسْرَارِهَا مِنْ نَبِيِّ الأَبَدْ
عَلَى شَعْرِهِ عَالَمٌ فَوْقَهُ
وُعُودُ الْهَوَى مُبْهَمَاتُ الأَمَدْ
عَلَى نَحْرِهِ هَالَةٌ حَدَّثَتْ بِرُؤْيَا مَلَاكٍ عَلَيْهَا سَجَدْ
وَفِي جَفْنِهِ نَبَأٌ تَائِهٌ لِغَيْرِ الْهَوَى فِي دَمِي لَمْ يَرِدْ
وَفِي هُدْبِهِ بَغْتَةٌ عَذْبَةٌ كَأَنِّي بِهَا سَاحِرٌ مُسْتَبِدْ
وَفِي قَدِّهِ ... جَلَّ بَارِي الصِّبَا
صَلَاةٌ مُقَيَّدَةٌ فِي جَسَدْ
سَجَا نَهْرُهُ ... لَيْتَنِي زَوْرَقٌ مَدَى الْعُمْرِ فِي لُجِّهِ يَرْتَعِدْ !
وَقَالَ : الْهَوَى ! قُلْتُ : هَاتِ الْهَوَى
فَذَاتِي بِذَاتِكَ حُلْمٌ شَرَدْ
أَذِبْنِي بِنَارٍ تَعَبَّدْتُهَا
وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْ لَظَاهَا أَحَدْ
ظَمِئْتُ لَهَا وَالدُّجَى مَارِدٌ يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ كَأْسٍ وَيَدْ !
فَلَمْ تَسْقِنِي غَيْرَ هَذَا السَّرَابِ وَهَذَا الْعَذَابِ، وَهَذَا الْكَمَدْ
فَمُتُّ بِأَيَّامِيَ اللَّاهِثَاتِ صَدَى آهَةٍ فِي حَنَايَا كَبِدْ
تَبَارَكْتَ يَا رَبِّ ! هَذَا الْجَمَالُ طَرِيقٌ إِلَيْكَ انْتَهَى وَاتَّحَدْ...

محمود حسن اسماعيل

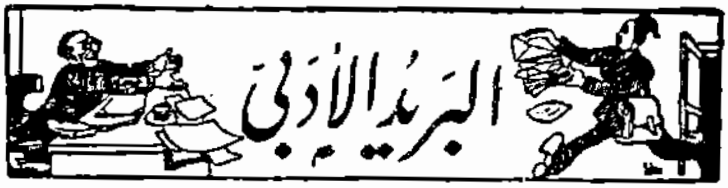

حقائق أدبية وذوقية

أخونا الزيات يخاف أن تصنع الصحافة بالكتاب ما صنعت السينما بالمسرح ، وكان ذلك لأن السرعة السينمائية قضت على التؤدة المسرحية ، وفي التؤدة والتروى فرص للتجويد والتجميل . وسرعة الصحافة قد تفسد الأقلام إفساداً لا تصلح بعده لإجادة التأليف ، وبذلك ينقرض الكتاب ، وهو المرجع الأصيل لتثقيف العقول

حول هذه القضية ثارت آخر معركة بيني وبين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في سنة ١٩٣٧ ، وكان ميدانه مجلة الرسالة وميداني جريدة المصري ، وهي معركة مشئومة فقد أنذرته بالموت فمات قبل أن تنتهي أشواط الصيال .

ومع احترامي لآراء الرافعي والزيات في هذه القضية فأنا لا أخاف على الأدب من السرعة ، ولا أراها من الجانيات على الإتقان ، ما دامت أثراً من ثورة العقل ، وفورة الطبع ، وما دامت صورة من اصطخاب العواطف واضطرام الأحاسيس .

والحق أن الكاتب المجيد لا يفوته أبداً أن يدقق في الأسلوب ولو اشتهر بكثرة الإنتاج ، والحق أيضاً أن البطء ليس دائماً من الشواهد على إيثار التروى ، فقد يكون من آثار البلادة الذهنية عند بعض الناس

وبأي حق يخرج الكاتب على روح العصر ؟

العصر الحاضر عصر السرعة ، فكيف نخرج عليه ؟

وكيف نجهل فضل السرعة في تهذيب الأساليب من أوضار التكلف والافتعال ؟

وهل عُرفت مرونة التعبير إلا عند الأدباء الذين قهرتهم سرعة الصحافة على مواجهة القراء في كل يوم أو كل أسبوع ؟

كان المازني جاحظي الأسلوب قبل أن يشتغل بالصحافة ، ثم جرفته السرعة فصار المازني الذي نعرف ، المازني الذي يكتب بلا تزين ولا تهويل ، في حدود هي الغاية في البيان

وهل ينسى الزيات نفسه فضل الصحافة عليه ؟

هل كان « وحي الرسالة » إلا دراسات فُرضت عليه فرضاً بحكم السرعة التي يوجبها إصدار صحيفة أسبوعية ؟

وهل كان من الممكن أن يجود ذهنه بذلك المحصول . لو تُرك للظروف التي توحي القول حين تريد ؟

السرعة أدل على الحيوية من البطء ، إلا أن يكون البطء صورة نفسية أصيلة تشبه بطء الطبيعة في تكوين الجنين

على أني أنكر أن تكون سرعة الكاتب المبدع من ضروب الارتجال ، فنحن نسرع في التعبير لا في التفكير ، لأن محصولنا الذهني وليد تأملات قضينا في ترجيمها شهوراً أو سنين ، فما نكتبه اليوم ليس ابن اليوم إلا من حيث التدوين

ثم أنتقل إلى مناقشة الدكتور عزام فيما سماه « السوقية في الأدب » وهو ما يسميه الفرنسيون Mercantalisme بجامع الصلة بين الاتجار بالبضائع والاتجار بالآداب

والرأي عندي أن قلوب الجماهير أسواق نشترى فيها ونبيع ، ومن واجبنا أن نكسب تلك القلوب قبل أن يكسبها الدجالون

يجب أن تكون لنا غاية صريحة هي غزو القلوب بالأدب الصحيح ، وهذا الغزو لا يتيسر إلا إن كان للأدب جاذبية روحية تدخل على القلوب بدون استئذان

الأدب الحق هو الذي يضرم في القلوب والعقول نار الشوق إلى معرفة الحقائق الأدبية والذوقية والعقلية ، وهو الذي يفرض على الجماهير أن تقيم أخلاقها على قواعد من المنطق السليم ، وهو الذي يجعل للحياة غايات روحية لا يفطن إليها غير من يسايرون أقطاب البيان

التجارة لا تعاب وإنما يعاب الربح عن طريق التزييف ، فمن استطاع أن يكسب قلوب الجماهير عن طريق الصدق فهو الأديب الحصيف أو التاجر الشريف

قلوب الناس تضيع من أيدينا ، لأننا لا نفكر في رياضتهم على إيثار الصدق ، ولأننا نترفع عليهم فلا ندعوهم إلى الحق إلا بتعابير محمَّلة بالكبرياء

متى يصبح الأدب قوتاً لا تطيب بدونه الحياة في أنظار جميع الأحياء ؟

يكون ذلك يوم يصير الأدب أفصح معبِّر عن سريرة الوجود .

زكي مبارك

(الرسالة) : لو تروى الأستاذ المبارك فيما كتبناه ، لعلم أننا لا نعيب السرعة إلا إذا أعجلت الكاتب فلم يحسن الكتابة ، أو أعجلت القارىء فلم يحسن الفهم

خطأ في رواية حديث

زعم الأب أنستاس مارى الكرملي في دفاعه أنه يتأثر أحسن من نطق باللغة المضرية ... الخ ثم قال :

« فقد قال : ارجعن مأجورات غير مأزورات ، مع ما في مأجورات من الغلط في نظر بعض حمقى اللغويين »[1]

فيا أيها الأب أنستاس مارى الكرملي عضو مجمع ... الخ :

١ — الحديث الذي نقلته خطأ ، فقد قلبت المعنى واللفظ رأساً على عقب . ولفظه كما لا يخفى على أحد هو هنا : « ارجعن مأزورات غير مأجورات . »

٢ — ثم قلت : « مع ما في مأجورات من الغلط في نظر بعض حمقى اللغويين ! ! »

والعدول عن القياس — وحضرتك تسميه بالغلط — ليس في (مأجورات) كما زعمت إذ هي اسم مفعول من الأجر ؛ ولكنه في (مأزورات) لأنها من الوزر ، فالقياس : (موزورات) فاقتضى الذوق والحرص الحسن العدول عن القيس لإتباعها (مأجورات)

٣ — « لو كسرت براعتك المرضوضة ، وألقيت بها في التنور ، وبقيت ساكتاً إلى أن يفيض التنور ، لكان ذلك أحسن لك ! وأنصحك نصيحة لله : ألا تكتب كلمة قبل أن تتدبرها كل التدبر ثم تعرضها على أصدقائك ، ثم تتأملها ثانية ، وتعرضها على أعدائك ، وحينئذ ابعث بها إلى أصحاب الجرائد والمجلات . وإلا فمثل هذه الخربشة والخربقة لا ترفع قدرك ولا تبقي لك أثراً طيباً ! »[2]

قلنا ولم يصدق الأب إلا في هذه الكلمة بشرط أن يوجهها إلى من يتخبط في سطر واحد هذه التخبطات الشائنة الشوهاء وله فائق احتراماتي .

« دمشق » معبر الوقفاني

البيتان لابن الفارض

تساءل الأديب محمد بشير عن صاحب هذين البيتين :

ليت شعري هل كفى ما قد جرى ... مذ جرى ما قد كفى من مقلتي
قد يرى أعظم حزن أعظمي ... وفني جسمي حاشا أصطرى

أهو ابن الفارض ؛ لأن البيتين مذكوران في قصيدته البائية المشهورة التي أولها : (سائق الأظعان يطوي البيد طي) ؟ أم هو المستشرق المعروف « پالمر » كما ذكر الأستاذ عبد الوهاب الأمين في الرسالة (٤٨٦ : ١٠٠٤) ؟

أقول : لا شك أن هذين البيتين من شعر ابن الفارض ، وأنهما من بائيته المعروفة . والدليل الذي لا يقبل الشك في ذلك هو أنهما موجودان في نسخة الديوان التي حررت وصححت بقلم ابن بنت الشيخ عمر بن الفارض نقلاً عن الشيخ كمال الدين محمد ابن عمر بن الفارض . وعلى هذه النسخة كتب الشيخ حسن البوريني شرحاً طويلاً كثير الفوائد وأثبت هذين البيتين وشرحهما . وقد فرغ من شرح القصيدة البائية سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠١ م) . وكذلك أثبتهما الشيخ عبد الغني النابلسي في شرحه وكتب عليهما وقد فرغ النابلسي من شرحه لديوان ابن الفارض سنة ١١٢٣ هـ — ١٧١١ م

فالبوريني شرح البيتين في ديوان ابن الفارض قبل مولد « پالمر » بنحو ٣٣٩ سنة ، والنابلسي شرحهما قبل أن يولد هذا المستشرق بنحو ١٢٩ سنة

بهاء الدين الرافعي

كلمة أخيرة في اختلاف القراءات

ما كنت أريد أن أعود إلى الكتابة في موضوع اختلاف القراءات بعد كلمة الأستاذ الفاضل عبد العليم عيسى ، ولكني قرأت كلمة للأستاذ الفاضل محمود عرفة يحاول فيها أن يحرف رأيي تحريفاً آخر إلى مذهب القائلين إن القرآن نزل بمعانيه دون ألفاظه وحروفه ، وهو مذهب لم يحي إلا على ألسنة بعض ذوي المقاصد السيئة من المستشرقين ، مع أنه هو الذي اعتنق مذهب أولئك المستشرقين في كلمته الأولى ، إذ حمل كل ما لا يدخل من القراءات في باب اختلاف اللهجات على التصحيف ، ولم يفرق في ذلك بين قراءات شاذة ومتواترة

ولست أدري كيف يحرف الأستاذ محمود عرفة رأيي هذا التحريف ، مع أنه لا يراد منه إلا توجيه هذه القراءات توجيهاً تظهر به الحاجة إليها في عهد النبوة ، ويقطع الطريق على من يزعم أنها جعلت بتحريف بعدها ، وإني بعد هذا لست أخالف الأستاذ عرفة في أن القرآن كان يؤخذ من النبي صلى الله عليه وسلم

(١) العدد ٤٨٧ من الرسالة الغراء

(٢) هذه جملة الأب نقلها في العدد المذكور من الرسالة لبعض الأفاضل .

بالتلق ، ولكن كثيراً ممن كان يتلقاه لم يكن يحفظه ، فإذا قرأه بعد التلق فى مخطوط حصل له الاشتباه الذى ذكرته وقلت إن تلك القراءات نزلت لتيسير أمره . ولا شك أن التلق بشر عرضة للسهو والنسيان ؛ وهذا هو غرضى من رأيى واضح لدى كل منصف

عبد المتعال الصعيدى

حول كتاب ديكارت للأستاذ عثمان أمين

لاحظت فى كتاب (ديكارت) للأستاذ عثمان أمين مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب فى الفصل الرابع (ص ١٤٠) المعنون « بالشك المنهجى » فقرات مأخوذة من كتاب (آراء غربية فى مسائل شرقية)[1] تعريب الأستاذ عمر فاخورى ، من الفصل الذى عنوانه : (الغزالى وديكارت) للكاتب الفرنسى شارل سومان (ص ٨٣) دون أن يشير الأستاذ الفاضل إلى هذا الكتاب سواء فى مجموعة المصادر التى ذكرها أو فى الحواشى التى أوردها وإليك نمطاً من الفقرات المتشابهة فى الكتابين :

يقول الأستاذ عثمان أمين فى الصفحة (١٤٠) من كتابه « ديكارت » : اختار ديكارت كما فعل الغزالى من قبل ، أقوى الأسلحة والحجج الجدلية التى جمعها الشكاك اليونان من عهد « سكستوس أمبريقوس » وسائر أنصار « بيرون » وادخروها فى معاقل المذهب الارتيابى ، وهى الأسلحة التى لجأ إليها « مُنتينى » صاحب « المقالات » المشهورة وبعده « شرّون » فى كتابه « الحكمة » (١٦٠٣)

وفى الصفحة ٨٩ من كتاب « آراء غربية فى مسائل شرقية » نجد الكلمات التالية « فإن الغزالى وديكارت كليهما اختارا أقوى الأسلحة الجدلية التى جمعتها البرونية الإغريقية من عهد سكسيوس وأونسيدام وادخرتها فى ثكنات الشكوكية وهى الأسلحة التى ضرب بها مونتانى وقبله شارون فى مؤلفه (الحكمة) »

وهناك فقرة فى الصفحة (١٤١) من كتاب ديكارت تقول : « استبعد ديكارت شهادة الحواس لأنها تخدعنا أحياناً ، ومن الفطنة ألا نأمن أمناً تاماً لمن خدعنا مرة »

وترجمة الأستاذ عمر فاخورى تقول (ص ٨٧) ما يلى : « قال ديكارت لما كانت حواسنا تخدعنا وتخوننا أحياناً أردت نفسى على الاعتقاد بأن لا شىء فى حقيقته هو كما تخيله حواسنا ، وقال أيضاً : لقد ثبت لى أكثر من مرة أن هذه الحوادث خادعة فمن الرشد ألا تأمن أمناً تاماً لمن خانك وخدعك مرة »

وقد أخذ الأستاذ عثمان أمين كذلك مقارنة بين فقرة من كتاب المنقذ من الضلال للغزالى ، وفقرة من كتاب التأملات لديكارت وهما نفس الفقرتين اللتين أوردهما شارل سومان وترجمة الفقرة عن ديكارت هى نفس ترجمة الأستاذ فاخورى ، وقد وضع الأستاذ عثمان أمين كل ذلك فى حاشية (ص١٤٠) و(ص١٤١) . فلماذا أغفل الأستاذ اسم شارل سومان وعمر فاخورى من بين أسماء مراجعه ؟

« بغداد » صفاء خلوصى

(١) وهو كتاب بحجم صغير مطبوع فى مطبعة المفيد بدمشق سنة ١٩٢٥

اقـــرأ

قريبا يظهر
العـدد
الأول
الثمن ٥٠ مليما

سلسلة من الكتب القيمة فى مختلف أبواب الأدب والقصص والتاريخ والسياسة والفلسفة تظهر شهرياً فى حجم واحد للجيب مطبوعة طبعاً أنيقاً يشترك فى تأليفها طائفة من أشهر الكتاب فى مصر وسائر البلاد العربية

تصدرها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر
بمعاونة الأساتذة
الدكتور طه حسين بك وأنطون الجميّل بك
وعباس محمود العقاد وفؤاد صروف

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)